منهج التفسير الموضوعي في رد القراءات الحداثية للقرآن الكريم
ـ محمد أركون أنموذجا ـ

بقلم

سعد مسعودي د/ محمد الحبيب العلاني

جامعة القيروان ـ تونس

allani-habib@yahoo.fr s.messaoudi55@gmail.com

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والذي أقسم، وقال:(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ*وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ* سورة النجم، الآيات 1-5 وأصلي وأسلم على سيد البشرية سيدنا محمد عليه أزكى الصلاة والتسليم، أما بعد:

فقد كان الفكر الفلسفي في أروبا يتطور بعد أن استقل عن المؤسسة الدينية وانتقد مقولاتها في كثير من الجوانب، وكان من أهم آثاره تمجيد العقل، والتشكيك في الموروث الديني، ومحاولة إخضاعه للعلوم التجريبية.

وقد ظهرت في نفس المرحلة التاريخية مناهج أدبية وفلسفية كثيرة تمتاز بالتشكيك، وتحلّ سلطة العقل والتجريب في كل العلوم بما فيها الدينية والغيبية، وكانت تلك المناهج النقدية في قراءة النصوص قد اعتمدها بعض الباحثين المعاصرين وحاولوا تطبيقها على القرآن الكريم فكيف كانت نتائج بحوثهم ؟ وما هي أبرز منطلقاتهم وأهدافهم ؟

سنحاول من خلال هذه الورقة تقديم رؤية نقدية لإحدى هذه القراآت .

ومن الأهمية بمكان التعرف على مصطلح الحداثة قبل خوض غمار الموضوع. إنّ هذا المصطلح الذي يعنينا، يعني مذهباً أدبياً أو نظرية فكرية تدعو إلى التّمرد على الواقع، والانقلاب على الموروث القديم بكل جوانبه ومجالاته والذي انتقل إلى أدبنا العربي الحديث.

وقد عرف مصطلح الحداثة بعض الغربيين بأنها: تعبير عن فكرة التّقدم التي تهدف إلى تحرير الإنسان من الخوف، وجعله سيداً.

إذن يمكن تعريف الحداثة بأنها: "موقف عام وشامل ومعارض للثقافات التقليدية السائدة، يدعو الى إعادة النظر في كثير من الأشياء، والتحرر من كل القيود"

ومن أهداف الدراسة هو تقديم رؤية نقدية لهذه التجربة التي تحمّس لها العديد من الدارسين وحاولوا تطبيق مناهجها بطريقة مسقطة على القرآن والسنة بما أوتي العلماء الغيورين على كتاب الله وسنة رسوله لهذه الظاهرة الفكرية.

كما حاول هؤلاء التعاطي مع المواضيع الدينية بصيغة مغايرة تختلف عن الصيغ المألوفة بغاية تجديد الخطاب الديني، ومنه قراءة النص القرآني وفقاً لمناهج الحداثة وما بعدها وترسيخ هذا التجديد بصفته مشروعا عقلانيا علميا يتأسس على مبادئ منهجية وعلمية[1].

كما أن سبب اختياري للموضوع أن أتعرف وأرد من خلال منهج التفسير الموضوعي، على المفكرين الحداثيين العرب الذين خاضوا غمار نقد العقل العربي الإسلامي ، وأبرزهم المفكر الجزائري الراحل محمد أركون الذي سعى إلى زحزحة

[1] –القراءات الحداثية للقرآن الكريم، مذكرة شهادة ماستر، الطالبتان:وسام حفظ الله –عائدة خموج، جامعة تبسة، ص:05

المفهوم التقليدي للنص القرآني من خلال كتابه "القرآن من التفسير الموروث إلى التحليل الخطاب الديني"، حيث أردت التطرق إلى نظرة أركون إلى التفسير الموروث للنص القرآني ومحاولة الرد عنها بما جاء في منهج التفسير الموضوعي وقواعده. وقد اقتضت طبيعة الدراسة تقسيم المقال إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: التعريف بالتفسير الموضوعي، نتعرض من خلال هذا المبحث إلى التعريف بالتفسير الموضوعي، وأهدافه وأهميته، وتطور ألوانه ومناهج بحثها.

المبحث الثاني: محمد أركون وكتابه "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ".حيث تعرض فيه البحث إلى التعريف بمحمد أركون وبعض مؤلفاته، ومشروعه العلمي وفكره الفلسفي، ومهجه في الدراسة.

المبحث الثالث: دور التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني في نقد القراءات الحداثية للقرآن الكريم حيث كان من المفروض أن أتطرق في البحث إلى الموضوع القرآني، السورة القرآنية، ثم إلى المصطلح القرآني أو اللفظة القرآنية، إلاَّ أنني اكتفيت بدارسة المصطلح القرآني الذي كثيراً ما أثار نخبة المفكرين الحداثيين وهو مصطلح "الوحي".

ومن خلال موضوعي المختار الموسوم بدور التفسير الموضوعي في رد القراءات الحداثية للقرآن الكريم –محمد أركون أنموذجاً–نطرح التساؤلات التالية: ما هي نظرة محمد أركون لتفسير مصطلح الوحي في القرآن الكريم ؟ وما هي نظرة التفسير الموضوعي لنفس المصطلح ؟ وما هي درجة الاتفاق والاختلاف ؟

المبحث الأول: تعريف التفسير الموضوعي ،أنواعه وخطواته المنهجية.

كان التفسير بشكله التقليدي قد يُبين جزءاً من تلك الحلول والهدايات أثناء عرضه لتفسير الآيات التي تتحدث عنها، إلا أن الحاجة ملحة لمعرفة تفاصيل عرض

القرآن للموضوع ومعالجته من كافة نواحيه، وهذا يستلزم بيان ما في سور القرآن من ترابط وتكامل لعرض موضوع أو عدة مواضيع معينة.

وقد ظهر اصطلاح التفسير الموضوعي في القرن الرابع عشر الهجري عندما قرّره الأزهر على طلاّبه. ويعد التجديد في التفسير في ذلك الاتجاه تجديدا في طريقة العرض، أما منهجية التفسير وأدواته ومصادره والتعرف على معاني ألفاظه وأقوال السلف فيها فهي واحدة، إلاّ ما كان من تقرير محمد باقر الصدر الذي اعتبر التفسير الموضوعي منطلقا للتفاعل مع قضايا المجتمع انطلاقا من القرآن وسبرا للخبرات المختلفة في العلوم الإنسانية، وهو توجه يعطي للتفسير الموضوعي أبعادا جديدة تفتح آفاقا من البحث في مختلف العلوم والفنون .

المطلب الأول: تعريف التفسير الموضوعي

ككل علم جديد، تعاني المصطلحات من الاختلاف في الضبط والحدود والقيود بين المصنفين والباحثين، وبتتبع ما كتبه الأساتذة الأفاضل الذين خاضوا غمار التصنيف في علم التفسير الموضوعي، نجد عددا لا بأس به من التعريفات، تتفق في جوانب وتفترق في جوانب أخرى، نذكر من منها دون التطرق إلى التعريف اللغوي بمركبية، ونعرف فقط التعريفات الاصطلاحية ومن أهمها:

– هو بيان الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد، وإن اختلفت عباراتها وتعددت أماكنها، مع الكشف عن أطراف ذلك الموضوع حتى يستوعب المفسر جميع نواحيه ويلم بكل أطرافه، ما إن أعوزه ذلك لجأ إلى التعرض لبعض الأحاديث المناسبة للقيام لتزيدها إيضاحا وبياناً.[1]

[1] –احمد السيد الكومي، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ص: 16-17

– هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة، لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع.[1]

– هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية، من خلال سورة أو أكثر.[2]

أن جميع هذه التعريف السابقة كانت مقصورة على تعريف جزء من أجزاء المعرّف، ولم تكن هذه التعاريف جامعة مانعة، وهذا يدعو إلى إيجاد تعريف يجمع ألوان التفسير الموضوعي وهي الموضوع القرآني–المصطلح القرآني–السورة القرآنية.

وأرى أن الأستاذ عبد السلام حمدان اللوح أستاذ بكلية أصول الدين الجامعة الإسلامية غزة قد وضع تعريفا جامعا يحقق الهدف والغاية والوسيلة، من التفسير الموضوعي حيث يقول: " إن التفسير الموضوعي هو جمع الآيات التي تتناول موضوعاً واحداً أو مصطلحاً واحداً أو الاقتصار على الآيات في السورة الواحدة، ويُفسر ذلك تفسيراً موضوعياً مُبرزاً وحدة الموضوع، ومحققاً لمقاصد القرآن وأهدافه"[3] .

المطلب الثاني: أهداف وأهمية التفسير الموضوعي

من دواعي ظهور مصطلح التفسير الموضوعي المعاصر وجود أمور مستجدة لم تكن في العصور الماضية فلا بد من بيان حكم القرآن في هذه القضايا، وهذا لا يكون إلا من خلال البحث في القرآن ذاته لاستخلاص الأحكام التي تتعلق بهذه القضايا

[1] –عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل الى التفسير الموضوعي،ص:20

[2]–مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص:16

[3]–عبد السلام حمدان اللوح، مجلة الجامعة الاسلامية غزة المجلد الثاني عشر العدد الأول ص:45–78(بحث :وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي)

والمستجدات على اختلاف تنوعها، وفيما يلي نذكر بعض أهم الأهداف.

– التفسير الموضوعي هو تفسير العصر والمستقبل حيث يعالج ما يجِدُّ في حياة الناس من قضايا وأحداث لم تكن موجودة في الأزمان السابقة ولم يكن الحكم الشرعي فيها واضحا فيقوم المفسر من خلال هذا اللون من التفسير باستخراج الحلول القرآنية لهذه الأمور المستجدة من خلال استنطاق النصوص وإماطة اللثام عن وجوه جديدة من الهدايات القرآنية وهذا يبرز جوانب جديدة من وجوه الإعجاز القرآني .

– التفسير الموضوعي يحقّق دراسات وأبحاثا قرآنية متخصصة وفي مجالات متنوعة يسهل الاطلاع عليها وتحقيق الهدف والغاية منها.

– يعالج التفسير الموضوعي الشبهات والطعونات التي يثيرها أعداء الإسلام بين الحين والآخر، فنغلق أبواب فتنة وشك في دين الله وتفشل مخططات الأعداء وتعرّي مكرهم وعدائهم للإسلام والمسلمين، فلا مجال للغزو الفكري الثقافي، والأمة متحصّنة بكتاب ربها لقوله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ * وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ * وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) سورة آل عمران. الآية 99-101

– التفسير الموضوعي يؤصل الدراسات والمناهج في كل المجالات والتّخصصات لقوله تعالى: (مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ) (38) سورة الأنعام. الآية 38، وقال تعالى (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (89. سورة النحل. الآية 89)

فما من شيء من العلوم والمعارف إلاّ وله في القرآن ما يشير إليه بالعبارة أو بالإشارة، فالقرآن إذن يؤهّل هذه العلوم ويصحّح مسارها لتسير مع القرآن في اتجاه واحد وتخدم هدفا واحدا، فعلم أصول التربية القرآنية، وأصول علم الاقتصاد الإسلامي، وأصول الإعلام وغيرها كل هذه العلوم تحتاج إلى أن تنضبط بتوجهات القرآن وتعليماته.

– التفسير الموضوعي هو السبيل لبيان مدى حاجة الإنسانية جمعاء إلى هذا الدين ومصدر هدايته وأن القرآن هو الذي يتفاعل مع حاجات الإنسان ليعالج قضاياه ويحل مشكلاته في كل زمان ومع كل جيل، وهو ما يزيد من إقبال المسلمين على القرآن ويوثق صلتهم به.

– بالتفسير الموضوعي تظهر لنا حقائق قرآنية وسنن إلهية في الكون والحياة والعلوم والمعارف ما كان للإنسان أن يقف عليها بدون هذا اللون من التفسير، إذ لا يستطيع القارئ أن يقف عليها من خلال التفسير الترتيبي، ومن هذا المنطلق يسهم التفسير الموضوعي في الدعوة إلى الإسلام وفي إمعان النظر في القرآن وفي الارتقاء بمستوى التفكير العلمي الموضوعي عند الباحثين، ويصبح لدى العلماء والباحثين ملكة ودربة في البحث والدراسة والتأليف والتفكير المنضبط بقواعد وأصول وأسس قرآنية مستمدة من القرآن ذاته وليست مستوردة من ثقافات ومعارف الأمم والشعوب الأخرى[1].

– يقوم التفسير الموضوعي بحصر وجمع الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد، فتفسر الآيات بعضها بعضا، فيكون ذلك تفسيرا للقرآن بالقرآن، وهو أبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب، ويظهر ما بين هذه الآيات من انسجام وترابط، وذلك يعطي

[1] –التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق مرجع سابق، ص 37

فكرة عامة عن هذا الموضوع حيث يستقصي كل ما ورد فيه من آيات قرآنية، وذلك يمكن الباحث أيضا من دفع التعارض بين الآيات إن وجد، وكل ذلك يؤدي إلى سرعة الوصول إلى الهدف دون تعب أو مشقة ومن أقرب الطرق وبأسهل الوسائل[1].

– هذا اللون من التفسير، خاصة ما يتعلق منه بالسورة القرآنية يؤكد الوحدة الموضوعية للسورة مهما تعددت القضايا المطروحة في السورة إلا أنها تخدم هدفا واحدا ومحورا واحدا وموضوعا رئيسيا تدور حوله وتغطيه من جميع جوانبه، وهذا يجعل القارئ يمعن النظر في السورة ليدرك ترابط قضاياها بوحدتها الموضوعية ومدى ذلك الانسجام والتناسب بين هذه القضايا لقوله تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) سورة محمد الآية24. وقوله: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) سورة النساء الآية 82.

– التفسير الموضوعي الذي يتعلق بالمصطلح القرآني يكشف لنا بوضوح وجلاء مدى استعمال القرآن لهذا المصطلح وما هي المعاني المختلفة التي تحملها هذه الكلمة القرآنية حسب السياق والمناسبة التي وردت فيها، وما هي الاشتقاقات والصيغ المستعملة لهذا المصطلح في القرآن الكريم مما يكون موضوعا متكاملا عنوانه هذا المصطلح الدراسة قرآنية[2].

– ومن الأهداف أيضاً بُعد الناس عن زمن التنزيل وجهلهم بكثير من قضايا القرآن المتعلقة بشئونهم العامة والخاصة.

---

[1]– المرجع السابق، ص 39

[2]– عبد السلام حمدان اللوح،مرجع سابق ص:63-64

المطلب الثالث: تطور ألوان التفسير الموضوعي ومناهج بحثها

مما لا شك فيه أن التفسير الموضوعي بألوانه ومناهج بحثها قد تعرض لمراحل تدرج فيها من ضعف إلى قوة، وقبل الحديث عن مراحل التطور وتدرجه يحسن بنا أن نلقي الضوء بإيجاز على ألوان التفسير الموضوعي كما هي عليا الآن، ثم نعود بعد ذلك إلى نموها وتطورها، ونبدأ بها حسب تسلسلها التاريخي وذلك فيما يلي:

الفرع الأول: الموضوع القرآني

وهو قضية يلاحظها الباحث من خلال تعرض الآيات القرآنية لها بأساليب متعددة فيقوم بجمع هذه الآيات التي اشتركت في هذا الموضوع، ويرتبها حسب النزول، ويقف على أسباب نزولها، ثم يتناولها بالشرح والبيان والتعليق ويستنبط عناصر الموضوع من خلال الآيات نفسها، وينسق الموضوع، ويقسمه إلى أبواب وفصول ومباحث حسب حجم الموضوع الذي يتناوله، مع ربط ذلك كله بواقع الناس ومشاكلهم مع محاولة حلها ووضع علاج قرآني لها[1].

الفرع الثاني: السورة القرآنية

وذلك بتناول سورة قرآنية مستقلة عن غيرها من السور فيجعل منها وحدة موضوعية متكاملة مهما تعددت القضايا المطروحة فيها، وذلك بالبحث عن الهدف الأساسي في السورة الواحدة بما يمثل محورها الرئيسي ثم بربط بين قضايا السورة ومقاطعها من جهة ثم ببنها وبين محور السورة من جهة أخرى بما يثبت صحة محورها وتناسبه مع قضايا السورة، ويعد علم المناسبات هو الأسلوب البارز والأداة الفاعلة للربط والسبك لتظهر بذلك وحدة السورة الموضوعية المتناسقة رغم كثرة قضاياها

[1]-البداية في التفسير الموضوعي،د.عبد الحي الفرماوي ، مرجع سابق ،ص52

وموضوعاتها الفرعية والجن نية، كل ذلك بعيدا عن طبيعة التفسير التحلبلي[1].

الفرع الثالث: "المصطلح القرآني" أو "اللفظة القرآنية"

وهذا اللون من التفسير الموضوعي يختص بالمصطلحات والمفردات القرآنية، حيث يختار الباحث لفظة وردت كثيرا في السياق القرآني، فيتتبعها الباحث من خلال الآيات والسور جامعا لكل اشتقاقاتها وتصاريفها المختلفة، ثم يحيط بتفسيرها مستنبطا الدلالات واللطائف والحقائق من خلال استعمال القرآن الكريم لها.

وتعد كتب غريب القرآن، وكتب الأشباه والنظائر، والمعاجم اللغوية، والمعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن، منطلق هذه الدراسة والعمدة في إحصاء استقراء الاشتقاقات والتصريفات للمصطلح القرآني المراد تفسيره تفسيرا موضوعيا[2].

االفرع الرابع: آراء وتعار يف لعلماء التفسير الموضوعي

-الفرماوي قد أشار إلى نوعين للتفسير الموضوعي وهما: التفسير الموضوعي للسورة، والتفسير الموضوعي لموضوع قرآني[3]، إلا أنه لم يضع منهجية للسورة القرآنية.

-الدكتور عبد الستار سعيد فجعل المبحث السادس في كتابه بعنوان "منهج البحث في التفسير الموضوعي"، وذكر ثماني خطوات إجمالا ثم عاد إليها بالتفصيل لبيان المراد بكل خطوة من الخطوات التي أجملها، فأخذت مساحة من كتابه قرابة عشر صفحات[4](59) وفي ذلك مزيد من الوضوح إلا أن هذه المنهجية ما زالت محصورة

[1]-دراسات في التفسير الموضوعي للقران الكريم ،د.عبد المنعم القصاص، مرجع سابق، ص 30
[2] -مباحث في التفسير الموضوعي ،د.مصطفى مسلم، مرجع سابق، ص 23
[3] -البداية في التفسير الموضوعي، مرجع سابق، ص:50-52
[4] -المدخل الى التفسير الموضوعي، مرجع سابق، ص 56-66

أيضا في الموضوع القرآني ولم تتجاوزه إلى الألوان الأخرى للتفسير الموضوعي

– الشيخ محمد الغزالي كتب تحت عنوان "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم" الأجزاء العشرة الأولى، يقول في مقدمته: "والهدف الذي سعيت إليه أن أقدم تفسيرا موضوعيا لكل سورة من الكتاب العزيز، والتفسير الموضوعي غير التفسير الموضعي، الأخير يتناول الآية أو الطائفة من الآيات فيشرح الألفاظ والتراكيب والأحكام، أما الأول فهو بتناول السورة كلها، يحاول رسم "صورة شمسية" لها تتناول أولها وآخرها، وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها، وتجعل أولها تمهيدا لآخرها، وآخرها تصديقا لأولها[1].

– الدكتور دراز كتب حول الوحدة الموضوعية للسور القرآنية تحت عنوان "الكثرة والواحدة"، أي كثرة في قضايا السورة ووحدة في موضوعها ومحورها، وقد كان ذلك بمثابة وضع حجر الأساس للتفسير الموضوعي في السورة القرآنية، وقد مثل بسورة البقرة[2]

كما أشار لذلك الشيخ محمد الغزالي سابقا.

– الدكتور مصطفى مسلم ذكر في كتابه "مباحث في التفسير الموضوعي" جعل وحدة الموضوع في السورة مبحثا له منجيته التي وضعها ولعله أول من وضع هذه المنهجية للبحث في موضوع السورة، ومع كون الدكتور قد أشار إلى ثلاثة ألوان للتفسير الموضوعي وهي: "تفسير موضوعي للفظة قرآنية، وموضوع قرآني، وسورة قرآنية" وشرح حول كل لون بما يوضح المراد بهذا اللون[3]

[1] عبد السلام حمدان اللوح،مرجع سابق ص: 67

[2] –النبأ العظيم ،د. عبد الله دراز، منشورات دار القلم، ط2، 1970م ص:163–211

[3]–مباحث في التفسير الموضوعي ، مرجع سابق ، ص:23–29

– الدكتور صلاح الخالدي فقد ذكر في كتابه الألوان الثلاثة للتفسير الموضوعي وهي المصطلح القرآني والموضوع القرآني والسور القرآنية ووضح وصفا لكل لون من هذه الألوان بما يوضحها ويحدد معالمها[1].

المبحث الثاني: محمد أركون

وكتابه "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني"

طيلة القرون السابقة فإن الفكر العربي في حالة جمود، فالسبيل إلى تحريره نحو الانفتاح على مختلف الثقافات وشتى أنواع العلوم على المشاريع التي طرحها المفكرون الغربيون ومن الذين نقلوا تلك المجهودات محمد أركون لفضوله وتفاعله معها.

المطلب الأول: التعريف بمحمد أركون ومؤلفاته.

أولاً: التعريف بمحمد أركون.

الدكتور محمد أركون مفكر وباحث جزائري، له توجه ما بعد الحداثة تبنى مهمة نقد العقل العربي والإسلامي سعيا إلى تأسيس المشروع الأكبر "الإسلاميات التطبيقية". ولد محمد أركون سنة 1928م بمنطقة القبائل الكبرى في تاوريت ميمون في أسرة بسيطة، تقطن أسفل القرية المعلقة على سفح جبل جرجرة أين قضى فيها طفولته.

بدأ أركون بتعلم اللغة الفرنسية وهو في سن السابعة من عمره في المدرسة الابتدائية، ومنذ ذلك الحين بدأ في عيش الصدمة المريرة لتشربه ثقافة أخرى غير ثقافته الأصلية[2]. وظل لا يعرف اللغة العربية حتى بلوغه سن السابعة عشرة وبدأ يتعلمها

[1]– مباحث في التفسير الموضوعي ، مرجع سابق ، ص:40–51

[2] –مصطفى كيحل ،الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراة العلوم في الفلسفة،جامعة منتوري قسنطينة2007/2008،ص14

عندما خرج من المنطقة القبائلية، ليلتحق وقتها بالمدرسة الثانوية بوهران حيث يقول: " لغتنا هي القبائلية، حتى سن السابعة لم أكن أعرف العربية إطلاقا، ثم تعلمتها، ربما مع شيء من السهولة لأنني كنت أسمعها في الشارع، تعلمتها في الكتب وعندما خرجت من المنطقة القبائلية لألتحق بالمدرسة الثانوية في وهران بدأت تجربة المثاقفة المزدوجة والمواجهة الثقافية، كان علي أن أتعلم العربية وأكتشف المجتمع الجزائري الناطق بالعربية وليس بالبربرية،ومن جهة ثانية كان علي أن أكتشف المجتمع الفرنسي المستعمر"[1]. وبعد أن أنهى الدراسة الثانوية التحق بجامعة الجزائر، أين تحصل سنة 1952م على شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي، وكان أول اتصال له بالفكر العربي الحديث عندما تحصل على دبلوم الدراسات العليا حول الجانب الإصلاحي في أعمال طه حسين كما اشتغل في تلك الفترة مدرسا في ثانوية الحراش بالجزائر والتي كانت تعرف باسم maison carrée [2].

تحصل على شهادة التبريز في اللغة العربية والأدب العربي سنة 1955م، وفي عام 1957م سجل أركون بحثا ميدانيا مع جاك بيرك[3]، لدراسة الممارسة الدينية في منطقة القبائل غير أن اندلاع الثورة وعمليات لاكوست العسكرية بمنطقة جرجرة نسفت هذا المشروع،فنصحه ريجيس بلاشير أن يقوم بتسجيل مشروع بحث حول نزعة الأسنة في الفكر العربي في نهاية الستينات من القرن الماضي شهادة دكتوراه[4].

---

[1]-رون هالبير، العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار والجهود الفلسفية عند محمد أركون،ترجمة:جمال شحيد،الأهالي للطباعة، سورية دمشق،ط1، 2001، ص:167

[2] -مصطفى كحيل ،المرجع نفسه،ص:15

[3] -جال بيرك: مستشرق فرنسي وعالم اجتماع. درس في جامعة الجزائر والسوربون.، أهدى مكتبته للجزائر فصارت قبلة لباحثي العالم

[4] -مصطفى كحيل:مرجع سابق،ص.ص:17-18

عمل محمد أركون مدرساً بثانوية ستراسبورغ وذلك ما بين سنتي 1956-1959، وعمل أستاذ مساعداً بجامعة السربون ما بين سنتي 1960م-1969م، إذ كان في الوقت نفسه يحضر دكتوراه الدولة حول موضوع الإنسية العربية في القرن الرابع الهجري والتي تركز موضوعها حول المؤرخ والفيلسوف مسكويه وعن النتاج الفكري له. أصبح بعدها في جامعة ليون الثانية أستاذاً محاضرا بين عامي 1969 - 1972، وأستاذ للغة العربية والحضارة الاسلامية في جامعة باريس الثانية بين 1972م و 1977 م، وعمل أستاذ بالجامعة الكاثوليكية بلوفان لانوف بين 1978م و 1979م، القى العديد من الدروس والمحاضرات بالعديد من المدن والجامعات الغربية والعربية منها الرباط، وفاس، والجزائر، تونس، دمشق، بيروت، طهران، اميتردام، لوس أنجلس، وغيرها[1]. وفي عام 1993 م عمل محمد أركون أستاذاً زائراً في العديد من الجامعات والمعاهد العالمية لا سيما معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن، كما أسس سنة 1999م في فرنسا معهداً للدراسات الإسلامية، والذي قد اقترحه على الجهات الفرنسية سنة 1970م[2].

ثانياً: مؤلفاته.

كل مؤ لفات محمد أركون باللغة الفرنسية، وترجم البعض منها إلى اللغة العربية، إضافة إلى بعض نصوص محاضراته التي نشرت في العديد من المجالات العربية، وأهم هذه المؤلفات نذكر:

[1] -محمد بريش، من هو أركون،الاستشراق العربي دراسة نقدية لأعمال المفكر الاستشراقي محمد أركون، مجلة الهدى،الشارقة،2010،ص:23

[2] -صليحة عاشور:"الخطاب القرآني والمناهج الحديثة في تحليله-دراسة نقدية"أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، جانعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر ص228

1- مساهمة في الدراسة الإنسية العربية في القرن الرابع الهجري : مسكويه فيلسوفاً ومؤرخاً1970م، وقد قامت مجلة الفكر العربي المعاصر بنشر الفصل الرابع من الكتاب مترجماً الى العربية بقلم الكاتب هاشم صالح.

2- ترجمة كتاب " تهذيب الأخلاق "إلى الفرنسية مع مقدمة ودراسة لمسكويه، دمشق 1969م[1].

3- "محاولات في الفكر الاسلامي " طبع الطبعة الأولى سنة 1973م، وطبع المرة الثانية في سنة 1984م ، ويعتبر هذا الكتاب مجموعة من المقالات ونصوص ومحاضرات نشرت في المجلات الإستشراقية والحوليات المهتمة بالعالم الاسلامي.

4- "الفكر العربي" طبع هذا الكتاب ضمن السلسة الفرنسية(ماذا أعرف) سنة 1975م، وأعيد طبعه سنة 1979م، ترجمه الدكتور عادل العوا إلى العربية، والذي طبع ضمن سلسلة(زدني علما)التابعة لدار عويدات للنشر بيروت عام 1983م

.5- " الاسلام الأمس والغد" بالمشاركة مع لويس غاردي بالفرنسية، طبع الطبعة الأولى سنة 1978 م وأعيد طيعه سنة 1983م.

6- "الإسلام دين ودنيا" وضح محمد أركون أن مقدمة هذا الكتاب سواء في طبعته الايطالية أو الفرنسية أنها كانت عبارة عن إشارة إلى الحوار الذي أُجري معه تلقائياً، فكانت مختلف الأجوبة التي يقدمها طرح الأفكار وتوضيح المفاهيم.

7- " قراءات للقرآن " كتبه باللغة الفرنسية عام 1982م، يتضمن سبعة بحوث متفرقة نشرها محمد أركون سابقاً في كتب ومجلات غربية إستشراقية.

[1] -محمد بريش، مرجع سابقنص-ص:23-25

8- " نحو نقد للعقل الإسلامي "يعتبر آخر كتب محمد أركون في يونيو 1984م تضمن العديد من المقالات التي نشرها في مختلف الكتب والمجلات[1].

توفي محمد أركون عن عمر يناهز 82 عاماً، بعد معاناته الكبيرة مع المرض في 14سبتمبر 2010م حيث توفي بالعاصمة الفرسية ودفن في المغرب[2].

المطلب الثاني: مشروعه النقدي.

تعد مشاريع وأبحاث محمد أركون من أهم المشاريع التي تدعو إلى تأويل النص القرآني وفق مناهج البحث الغربية ويعدُّ أول من توسع في استخدام تلك المناهج ودفع بهذا الاستخدام لأقصى مدى يمكن من استخدام تلك الآلة النقديـة.

وليس مشروع أركون مجرد كتبه، بل إنه كان يطوف العالم مبشراً بمشروعه في القراءات الجديدة للإسلام والقرآن، في مختلف جامعات العالم، كما هيأت له الدعاية الإعلامية المصاحبة له، والتي تروج لمشروعه التجديدي مناخاً لنشر أفكاره في كثير من المجالات العلمية.[3]

بدأ مشروع أركون في التبلور تحت اصطلاح وضعه هو نفسه "بالإسلاميات التطبيقية" سنة 1970م حيث كان لب مشروعه النقدي نقد العقل الإسلامي، فهذه البلورة بمثابة بداية لتحضير مشروع حداثة عربية إسلامية قائمة على العقلانية النقدية.[4]

---

[1] -محمد بريش، ورجع سابق، ص-ص،23-25شهادة الماجستير، جامعة وهران -الجزائر2012م-2013م،ص:22

[2] -حاجي رشيد: "النص الديني والمناهج الغربية في الفكر العربي المعاصر" محمد أركون أنموذجاً، رسالة جامعية

[3] -خالد السبت، ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصرن ص:196

[4] -عبد القادر بودومة، الحداثة وفكر الاختلاف، منشورات الاختلاف، بومرداس-الجزائر، ط1، 2003م، ص:116

يقول أركون معرفاً مشروعه الفكري كما يسميه تاريخ نقدي تأهيلي استنباطي عميق للفكر الإسلامي:"هو فكر يدعو إلى المراجعة النقدية الصارمة أو الغربلة الكاملة لكل التراث العربي الإسلامي، ومناهج هذا الشروع ومساره وبلورته المصطلحية وبلاغياته التي تبحث عن التصديق عليها، ليس فقط الإطار الخاص بالفكر الإسلامي، وإنما أيضا داخل الإطار الأكثر قربا، كإطار الفكر اليهودي، والفكر المسيحي، بمختلف تجلياتها داخل الفضاء التاريخي التوحيدي.."[1]

والمنطلق الثاني لمشروعه الفكري من منظور نقدي مبادئه تقوم على وضع تصور مختلف للموروث الإسلامي، ومحموله الفكري فيقول: "إعادة كتابة جديدة لكل تاريخ الفكر الإسلامي والفكر العربي."[2]

دافع أركون على الطريقة الجديدة فيما يتعلق بالقرآن بشكل خاص، فهذه القراءة محررة من الأطر الدوغمياتية[3] الأرثوذكية[4]، فيقول:"إن القراءة التي أحلم بها هي قراءة حرة إلى درجة التشرد والتسكع في كل الاتجاهات ....إنها قراءة تجد فيها كل ذات بشرية نفسها، سواء كانت مسلّمة أقصد قراءة تترك فيها الذات العربية نفسها ولدينا مكيتها الخاصة في الربط بين الأفكار والتصورات".[5]

---

[1] –عبد الإله بلقزيز: محمد أركون المفكر والباحث ةالانسان، مركز الدراسات الوحدة العربية ،بيروت– لبنان، ط1، 2011م، ص:43

[2] –محمد بوراس:محمد أركون ومشروعه النقدي، مجلة البيان، ع176، ص:102

[3]–الدوغمياتية:وهي حالة الجمود الفكري يتعصب فيها الشخص لأفكاره لدرجة رفضه الاطلاع على الأفكار المخالفة.

[4]– الأرثوذكية: أصلها يوناني تستخدم بصفة عامة الاشارة الى الالتزام بالأعراف المتفق عليها ولا سيما الى العقيدة الدينية

[5] –محمد أركون ، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، ترجمة هاشم صالح دار الساقي بيروت ط1 / 99 ص:76

أراد أركون في خضم نقد العقل الإسلامي أن يخضع النص القرآني كتجربة لدراسته، فيقول في تاريخية الفكر العربي الإسلامي: "إني إذ اتخذ القرآن وتجربة المدنية كنقطة انطلاق لا أريد الانصياع لهيمنة أسطورة العصر التدشيني أو الافتتاحي".[1]

وقد حاول أركون بهذه القراءة أن يجدد الموروث الديني من أي خلفية كانت، وبذلك يتجرد الفكر الإسلامي من إيديولوجياته، ليتبلور من جديد وفق العصر الحديث والنزعة الإنسانية، فأنسنة الإسلام تعد امتداد لمشروع، فأصر على التعامل مع النص القرآني تعاملا مألوفاً واعياً، وذلك ليصبح الإسلام فكرياً إنسانياً.[2]

المطلب الثالث: منهجه في الدراسة.

يكشف أركون عن الآليات التي يعتمدها في الإبانة عن مكونات النصوص، فيحلل ويفكك ويعتمد المنهج الشكلاني والتاريخي..

كما اتخذ من النص القرآني موضوعاً لبحثه يخضعه للمنهجيات الحديثة التي تعامل معها بوصفها معطاً إنسانيا، فأصرّ على الجدة والرصانة العمليتين في تطبيقها، مع العمل في الخطاب القرآني على استجلاء الإثارات المتنوعة التي يتطلب الكشف القرآني عنها، فمن جهة تعمل على تسلح الباحث بعدة أشغال مركزة تشمل جميع التفاعلات والإدراكات البشرية، ومن جهة أخرى إفساح المجال لمتلقي النص بإعادة توليد المعنى القرآني، فيصبح النص حينها جزءاً من جماليات التلقّي التي تعطي جمهور المتلقين دوراً في تشكيله.[3]

---

[1] -محمد أركون :تاريخية الفكر العربي الإسلامي ، تر: هاشم صالح ،مركز الإنماء القومي، بيروت-لبنان، ط2،/1996، ص:16

[2] -عماد عبد الرزاق "أركون ومشروعه النقدي" مجلة مؤمنون بلا حدود، ج2، 06/05/2015م الرباط المغرب، ص-ص 17-19

[3] -عبد إلاه بالغزيز: مرجع سابق، ص:74

فالمنهجيات التي يعتمدها أركون غير ثابتة تتميز بالتعدد إذ ينتقل من المنهجية التاريخية إلى المنهجية اللسانية والأنثروبولوجيا[1]، وعلم النفس وغيرها.

ويعلل محمد أركون تعددية المناهج والمقاربات التي يستخدمها في نصوصه وبحوثه بطبيعته الفضولية وكثرة التطلّع إلى المجالات المختلفة في شتىّ الميادين المعرفيّة وحبّ استكشافها والتردد على الذين يمارسونها حيث يقول: "إن توجيهاتي للمنهجية المتعددة راجعة إلى فضولي الشخصي ومطالعاتي الشخصية، وإلى طبيعة تحب التردد على أولئك الذين ينشغلون في الحقول المعرفية المختلفة والمتعددة".[2]

ومن معالم منهجه قطيعته مع كل قراءة سابقة للنص، وبالرغم من انتقاده الدائم للقراءة الإيمانية التي ترسخ القرآن وتثبته في نفوس المسلمين، والذي يتيح لنظم العقائد أن يشتغل بمنأى عن أي تدخل نقدي[3]

المطلب الرابع: القراءة الإيمانية للوحي عند محمد أركون

هذه القراءة الإيمانية، تستند في نظر أركون، إلى مبادئ ومسلمات لاهوتية يصعب مناقشتها من قبل جميع المسلمين أو وضعها موضع التشكيك. وتتمثل هذه المبادئ في:

1- "كان الله قد بلغ مشيئته للجنس البشري عبر الأنبياء. ولكي يفعل ذلك فإنه استخدم اللغات البشرية التي يمكن للشعب المعني أن يفهمها. ولكنه في حالة أخرى تجل للوحي عبر النبي محمد، فإنه بين كلماته بلغته الخاصة بالذات، وبنحوه، وبلاغته، ومعجمه اللفظي بالذات. وكانت مهمة النبي-الرسول تكمن فقط في التلفظ بالخطاب الموحى به إليه من الله كجزء من كلام الله الأزلي، اللانهائي غير

[1] -هي دراسة البشر وسلوك الانسان والمجتمعات الماضية والحاضرة

[2] -محمد أركون، الفكر الاسلامي نقد واجتهاد، مرجع سابق ص:247

[3] -محمد أركون، الفكر الاسلامي واستحالة التأصيل ص:66

المخلوق..."[1].

2- "إن الوحي الذي قدم في القرآن من خلال محمد هو آخر وحي. وهو يكمل الوحي السابق له والذي كان قد نقل من خلال موسى وعيسى. كما أنه يصحح التحريف الذي لحق بالتوراة والإنجيل..."[2].

3- الوحي المتجلي في القرآن شامل وكامل ويلبي كل حاجات المؤمنين ويجيب على تساؤلاتهم. ولكن هذا الوحي القرآني لا يستنفد كلمة الله كلها. فالواقع أن الوحي ككل محفوظ في الكتاب السماوي (في اللوح المحفوظ). ينبغي أن نعلم أن مفهوم الكتاب السماوي المعروض بقوة شديدة في القرآن هو، في الواقع، أحد الرموز القديمة للمخيال الديني المشترك الذي كان شائعا في الشرق الأوسط القديم"[3].

4- "إن جمع القرآن في نسخة مكتوبة ومحفوظة مادية بين دفتي كتاب يدعى المصحف يمثل عملية دقيقة وحرجة. ولكنها ابتدأت بكل دقة أيام النبي ثم أنجزت مع كل الضبط اللازم في ظل الخلفاء الراشدين وخاصة في ظل عثمان. وبالتالي، فالقرآن المحفوظ عن ظهر قلب، والمتلو، والمقروء، والمشروح من قبل المسلمين منذ أن انتشر مصحف عثمان، هو النسخة الكاملة، والموثوقة، والصحيحة للوحي الذي بلغ إلى محمد"[4].

5- "إن الوحي القرآني يمثل الشرع الذي أمر الله المؤمنين باتباعه بحذافيره. فاتباعه يمثل علامة على الاعتراف بمديونية المعنى تجاه الله ورسوله اللذين رفعا

[1] – محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص19.
[2] نفس المرجع ص 19.
[3]– محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص 19-20.
[4] –نفس المرجع،ص:19-20

المخلوق البشري إلى مستوى الكرامة الشخصية عن طريق ائتمانه على الوحي.."[1]

6- "إن التوتر الكائن بين هذه المكانة الإلهية للوحي وغايتها البشرية، وبين التصور الحديث للقانون الوضعي وللنظام الاجتماعي والسياسي قد وصل إلى ذروته منذ أن كانت أنظمة ما بعد الاستعمار قد فرضت الإسلام كدين للدولة، ثم أعطت في الوقت ذاته مكانة متسعة أكثر فأكثر للتشريع العلماني أو الدنيوي. وهذا التناقض غالبا ما يظهر أثناء مناقشة قانون الأحوال الشخصية الذي لا يزال خاضعا للأحكام القرآنية"[2].

المبحث الثالث: دور التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني في دفع القراءات الحداثية للقرآن الكريم

الوحي ضرورة دينية وسلطة فوقية تتعالى على كل السلطات، كما هو مصدر معرفي يقيني بالنسبة للمتدين، فلا يمكن التعامل مع إرشاداته وتعاليمه بمنطق الأخذ والرد أو الاعتراض، فعلاقة المكلف به علاقة تسليم وقبول، ونظرًا لهذه المكانة التي يتبوؤها الوحي في نفوس المتدينين فإنه لا يمكن لأي باحث في موضوع ديني أن يتجاوزه أو يعتبره ثانويًّا أثناء البحث في القضايا الدينية، ومن هنا كان الموقف من الوحي هو العقبة الأولى لكل المشاريع الهدمية للدين وخصوصًا تلك التي تظهر بمظهر المنتسب أو المداهن، فيكون لزامًا عليها أن تحدد موقفها من الوحي؛ لأنه هو الذي يمنحها المصداقية في الدعوى أو ينزعها منها، ويعد المشروع الحداثي من أكبر المشاريع التي حملت على عاتقها مواجهة الوحي وزحزحة هيمنته على الفكر والثقافة.

حيث كثرت اليوم الدعوات إلى قراءة جديدة للقرآن الكريم، وتعالت بالاستفادة

[1] -نفس المرجع ،ص:20

[2] نفس المرجع، ص :20.

مما توصلت إليه العلوم اللغوية المعاصرة خاصة، والعلوم الإنسانية عامة، ومنهم من يدعو إلى ذلك عن حسن نية ورغبة في تحقيق استمرارية حفظ الوحي وصلاحية الشريعة لكل زمان ومكان، ومنهم من يفعل ذلك هدما للدين وقضاء عليه.

وسوف نحاول في هذا المقال دراسة موقف محمد أركون من حجية الوحي واعتباره؛ ولتبيين موقفه من الوحي فإننا نبدأ بموقفه من الوحي نفسه والذي نتج عنه الموقف من حجية الوحي:

المطلب الأول: مفهوم الوحي

الفرع الأول :مفهوم الوحي عند النحويين

1-الوحي في اللّغة: ورد في لسان العرب ما يلي: الإشارة و الكتابة و الّرسالة والإلهـام و الكلام الخفي و كلّ ما ألقيته إلى غيرك . يقال وحَيتْ إليه الكلام وأَوَحيتْ. ووحى و حياً وأوحى أيضا أي كتب/.../و أوحى إليه : ألهمه . و وحى إليه و أوحى : كلّمه بكلام يخفيه من غيره . و وحى إليه و أوحى : أ وَمأ ..... و أمل الوحي في اللّغة كلها إعلام في خفاء : [1] ، فالوحي لغة يعني الإعلام و التبليغ و الإلهام ، و في المعجم الوسيط في مادّة وحي : نجد وحي اليه وله (وجي وحيا) أشار أو أومأ ، وكلّمه بكلام يخفي على غير، هو كتب اليه الوحي :كل ما القيته إلى غيرك وما يحيه الله الى أنبائه[2]

2-الوحي في الاصطلاح : تعددت التعريفات الاصطلاحية للوحي، وعلى الرغم أنها تختلف في الألفاظ إلا أنها تتماثل في المعنى الحقيقي الوارد له ، فهو:"ما أنزله الله على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم، منهم من أعطاه كتابا تشريعا

[1] – ابن منظور : لسان العرب ، مجلد 15 ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط 1 ،2000م ص:171-172

[2] – إبراهيم مصطفى و آخرون : المعجم الوسيط ، ج 1 ، المكتبة الإسلامية ،) د،ط (،) د،ت (، ص1022 :

ومنهم من لم يعطه[1].

الفرع الثاني: مفهوم الوحي عند المفسرين (الوحي الشرعي):

وردت كلمة الوحي في القرآن الكريم وتعددت بحسب أسلوب الخطاب الإلهي فهي تدل على التكليف الإلهي وتبليغ الرسالات والأوامر الربانية : "ما يدركه الإنسان مصحوب بالشعور الواضح بأنه ملقى من طرف أعلى منفصل عن الذات الإنسانية وشعور بالطريقة التي تم فيها الإلقاء"[2].

جاء لفظ الوحي وما تصرف منه في القرآن في ثمانية وسبعين موضعًا، بالاستقراء نجد استعمال لفظ الوحي دلالة على الإعلام الخفي السريع.

والوحي كاسم معناه: الكتاب، ومصدره (وَحْي)، وفعل (أَوْحَى) مصدره (إِيحَاء)-[3]، غير أن للوحي وجوهًا دلالية يتطلَّبها السياق في القرآن على نحو مخصوص.[4]

فالمقصود بالمعنى الاصطلاحي: النبوة المأخوذة من النبأ بمعنى الخبر، وهو وصول خبر الله تعالى – بطريق الوحي إلى من اختاره من عباده لتلقي ذلك-[5]

وذكر علماء التفسير سبعة أوجه للوحي في القرآن الكريم :

---

[1] – الوحي في القرآن الكريم و موقف المستشرقين منه، مهند صالح عطية الحمداني، مجلة الكلية العربية الأساسية جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية ع 2010/66م:177

[2] –مهند صالح عطية الحمداني، الوحي في القران الكريم وموقف المستشرقين ، مجلة كلية العربية الأساسية جامعة بغداد كلية العلوم الإسلامية،ع2010/66، ص:177

[3] – التفسير الكبير"؛ الرازي، ج14، ص272

[4] – تأويل مشكل القرآن"؛ عبد الله بن مسلم بن قتيبة؛ شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، دار الثراث، القاهرة، ط(2)، 1973، ص373.

[5] – كبرى اليقينيات الكونية"؛ محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط(1)، 1997، ص183.

-1**الإرسال:** ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾ النساء: 163، ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ ﴾الأنعام: 19

-2**الإشارة:** ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ مريم: 11، والبيان فيما قبلها: ﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ مريم: 10، ﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا ﴾ [آل عمران: 41، والرمز الإشارة بالشفة والصَّوت الخفي، وعبَّر عن كل كلام كإشارة بالرمز فكان الكلام المستثنى من الحكم هو (الوحي والرمز) بمعنى الإشارة.

-3**الإلهام:** ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ [النحل: 68، ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى ﴾ القصص: 7، فهو "إيقاع شيء في القلب يطمئنُّ له الصدر، ويخص به بعض أصفيائه"[1]، وهذا خاصٌّ بالبشر، أما البهائم فهو غريزة تجعلها تحسُّ ما ينفعها وما يضرها، قال الرازي: "قوله ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ يقال: وحى وأوحى، وهو الإلهام، والمراد من الإلهام أنه – تعالى – قرَّر في أنفسها هذه الأعمال العجيبة التي تعجز عنها العقلاء من البشر.[2]

-4**الأمر:** ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ الزلزلة: 4- 5.

-5**القول:** والكلام المباشر: ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ [النجم: 10.

-6**الإعلام:** بالإلقاء في الروع وهو خاص بالأنبياء: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا ﴾ [الشورى: 51 .

-7**الوسوسة:** ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: 112.

---

[1] – تاج العروس"؛ الزبيدي. ج9، ص67.

[2] – التفسير الكبير"؛ الرازي، ج10، ص73

"فالوحي من معانيه العامة أنه الإعلام الخفي السريع، الخاص بمن يُوجَّه إليه، بحيث يخفى عن غيره، ومنه الإلهام الغريزي كالوحي إلى النحل، وإلهام الخواطر بما يلقيه الله في روع الإنسان السليم الفطرة كالوحي إلى أم موسى، ومنه وحي الناس لبعضهم البعض، ووحي الشياطين ويسمى بالوسوسة"[1]

والرؤيا والحدس والإلهام والتحديث والفراسة: كلُّها صور للوحي، تتفاوت حسب وقوعها، غير أن النبوة خاصة بالوحي الخاص بأضرُبِه الثلاثة.

الفرع الثالث: مفهوم الوحي عند الحداثيين (محمد أركون):

إن التعريف التبسيطي للوحي في السياقات الإسلامية يقدم من خلال عبارتين شعائريّتين مستخدمتين على نحو عام أو شائع من قبل أي مسلم عندما يستشهد بأي مقطع من القرآن، فهو يبتدئ كلامه قائلا: "قال الله تعالى"...وينهيه قائلا: "صدق الله العظيم"[2].

نلاحظ أن أركون سوف يقوم بتفكيك المفهوم التقليدي للوحي، هذا المفهوم المسيطر على البشرية منذ آلاف السنين، وذلك قبل أن ينتقل إلى المرحلة التالية المتمثلة في إعادة تقييم هذا المفهوم المركزي وبلورة فهم آخر جديد له .

أما موقف أركون من حجية الوحي: يكفي في معرفة نظرته للوحي نوع العبارات التي يستخدمها في توصيفه، فهي لا تخلو من تنقص ولمز يفيد عدم التقديس وعدم الرضا لأحكامه، فهذا أركون يقول: "أليس من الواجب أن نتخلص من السخرية التي تتحدث عن جنة الله المملوءة بالحور العين، وأنهار الخمر والعسل المرتبطة

[1] – الوحي المحمدي"؛ محمد رشيد رضا، دار الكتاب، الجزائر، ط(1)، 1989، ص44.

[2] –محمد أركون ، من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني، تر:صالح هاشم، ط: دار الطليعة بيروت، ص:17

بالخيال الشعري لدى البدو.[1]

من الواضح هنا أنّ أركون أراد إخضاع خطاب الوحي ، من خلال نقد وتفكيك للقراءة الحديثة التي تؤدي إلى إعادة النظر في حقيقة الوحي ذاته ، فالخطاب الدّيني في اعتقاده محصول معرفي كغيره ، فيراه خاضعا لكل ما تعرضه اللّغة من تراكيب و دلالات ، فالنصّ القرآني يمارس آلية الطمس والحجب في مسألة إنشاء المعنى و الحقيقة ، ذلك لأنه ذو بنية أسطورية و تركيبة مجازية رمزية[2].

أراد أركون أن يفكك هذا المفهوم التقليدي الذي هو بالنسبة للمؤمنين مفهوم بديهي متعارف عليه لا نقاش فيه متضمن لمبادئ معينّة يجب اتباعها والتقيد بها ، فقد سعى إلى حل إشكالية هذا المفهوم بجعله يتضمن عدة أسئلة قابلة للنقاش والمحاورة.

كما طرح أركون إشكالية حول إيمان فئة معينة بدين مقدّس معيّن وهي لا تتمتع حتى بمعرفة لغته الخاصة ، مثال الفئات التي تعتنق الإسلام الذي لغته العربية فهذا المعتقد التبسيطي لا يمكن أن يكون كاملا ومتزنا ومقنعا إلى درجة أنه لا يقبل المناقشة والمساءلة ، لأن هذا المعتقد المبسط وصل إليهم عن طريق القصص الأسطورية ، ويمكن أن تتضمن هذه المناقشة الصحة أو الخطأ[3].

يقول أركون أنه...." يوجد تعايش بين مستويين من مستويات الوحي ، وكثيرا ما يُخلط بينهما في التعبير الشائع أكثر من غيره: أي كلام الله نقول ذلك على الرغم من أن القرآن نفسه يلح على وجود كلام إلهي، أزلي، لا نهائي، محفوظ في أم الكتاب،

[1] – القراءة الجديدة عبد الرزاق هوماس (ص65) نقلا عنن كتاب قراءات في القرآن لمحمد أركون النسخة الفرنسية (ص 12)

[2] – :علي حرب : نقد النصّ ، المركز الثقافي العربي ، الدّار البيضاء – المغرب ، ط2، ص:6-7

[3] – محّمد أركون: ا لقرآن من الت فّسير الموروث إلى تحليل الخطاب الدّيني ، مرجع سابق ، ص18 :

وعلى وجود وحي منزل على الأرض بصفته الجزء المتجلي، والمرئي، والممكن التعبير عنه لغوياً،، والممكن قراءته، وهو جزء من كلام الله اللانهائي بصفته إحدى صفات الله [1].

ويرى أركون أن الوحي نطق في بدايته شفوياً من قبل الله تعالى إلى العباد من طريق وسيط ينقل هذا الكلام ، فبالنسبة للإسلام يدّعي هذا الوسيط بالنبي أو الرسول ، وفي المسيحية يتمثل في يسوع المسيح، فيتم تدوين هذا الوحي الشفوي وتسجيله في الورق حتى يصبح كتابا متداولا يمكن قراءته وتفسيره[2].أي يتحول من كلام إلى نص.

فالشفاهة لها آلياتها وأساليبها الخاصة المستخدمة في التوصيل واستقبال السامع له فتختلف بالتالي عن الكتابة.

فبعد أن كان الوحي عبارة عن تلفظات شفهية دُوِّن في ظروف سياسية واجتماعية وثقافية فأصبح بذلك كتابا عاديا ملموساً يمكن تفحصه وقراءته ، فتولد أمران خطيران : الأول يتعلق بنزع التاريخية ، والتالي بهذا الحدث وتمجيده، والثاني يتمثل في التغيرات الجوهرية الحاصلة في النص القرآني نفسه، فأصبح متميزاً عن الخطاب الشفوي بسبب الاختلاف الموجود بين الكلام المسموع والنص المقروء ، وبين الكلام الحاضر وصاحب النص الغائب[3].

المطلب الثاني: الرد على القراءات الحداثية لمحمد أركون لمصطلح الوحي

أما نظرة التفسير الموضوعي لمصطلح كلمة " الوحي"، فمن خلال تتبعنا لتفسير

[1] –محمد أركون ،القرآن من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني،مرجع سابق، ص 22
[2] –محمد اركون من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني مرجع سابق ، ص25
[3] –عبد اله بلعزيز ،مرجع سابق ، ص:91

مصطلح كلمة الوحي في بعض كتب التفسير الموضوعي نجدها تختلف تماما على فكر ومنهج محمد أركون لتفسير هذا المصطلح، ونجده في مستهل كتابه "القرآن من التفسير الموروث إلى الخطاب الديني" ابتدأ بقوله تعالى: وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ * إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (51) وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا * مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا * وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (52)الشورى، وقد سبق أن ذكرنا نظرة محمد أركون في تفسير مصطلح كلمة الوحي في هذه الآية وآيات أخرى متعلقة بالوحي.

يقول الدكتور مصطفى مسلم في تفسير هذه الآية: "فذكر تعالى الوحي وأقسامه وأنواعه، وأن تكليم الله تعالى للبشر وقع على ثلاثة أوجه:

الأول: عن طرق الوحي وهو الإعلام في خفاء وسرعة، عن طريق الإلقاء في القلب يقظة أو مناماً، ويشمل الإلهام والرؤيا المنامية.

الثاني:عن طريق الإسماع من وراء حجاب، أي حاجز، بأن يسمع النبي كلاماً دون أن يرى من يكلمه، كما حدث لموسى عليه السلام عندما كلمه ربه عز وجل....

الثالث:عن طريق إرسال ملك ، وظيفته أن يبلغ ما أمره الله بتبليغه له...[1]

ويقول عبد الحميد محمود طهماز في تفسير الآية 52 من سورة الشورى : " أي وبمثل هذا الوحي البديع أوحينا إليك روحاً من أمرنا، وهو القرآن الكريم، وسماه روحاً لأن فيه حياة من موت الجهل والكفر، فالقرآن حياة القلوب وربيعها[2].

[1] -التفسير الموضوعي لسور القرآن مصطفى مسلم، مجلد 7، ط1، جامعة الشارقة، ص:95-96

[2] -التفسير الموضوعي لسور القران العظيم، عبد الحميد طهماز، م 7 ط1، دار القلم دمشق ، ص:405

ويقول الأستاذ طهماز في تفسير للآية(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163 النساء) : " فظاهرة الوحي إلى جميع الأنبياء واحدة لا خلاف فيها تقوم بين ذاتين، ذات علوية آمرة ملقية، وذات ضعيفة مأمورة متلقية[1].

ويقول الشيخ محمد الغزالي في تفسيره للآية المذكورة أعلاه : " ...إن الذي أوحى إلى هؤلاء أوحى إلى محمد ، كلهم سفراء من الله إلى خلقه، كُلّفوا فبلّغوا، ما خانوا ولا فرطوا.

وإذا وصف محمداً وحده بشيء فهو أنه أفصحهم بياناً وأشدهم بلاءً وآصلهم في إحياء الفطرة ومناشدة العقل!!، وتراثه الباقي لا يزال وسوف يبقى إلى قيام الساعة يؤسس اليقين ، ويوقظ الغافلين ويسدد الخطى إلى رب العالمين[2].

وأخيرا ولما سبق ذكره فإن محمد أركون يريد إخضاع الوحي إلى ظروف الزمان والمكان وبالتالي إدخال الوحي في تطبيق مبدأ التاريخية الذي ينادي به الحداثيون يريدون من خلاله إزالة القداسة التي يحيط بها المسلمون كتاب الله "القرآن "

كذلك أراد أركون إخضاع خطاب الوحي، من خلال نقد و تفكيك للقراءة الحديثة التي تؤدي إلى إعادة النظر في حقيقة الوحي ذاته يريد من خلال ذلك تطبيق المنهج الظاهراتي.

ولو اتبع المفكر محمد أركون خطوات التفسير الموضوعي لمصطلح الوحي في

[1] -عبد الحميد طهماز، مرجع سابق، ص:213

[2] -التفسير الموضوعي للقران الكريم،محمد الغزالي، ط4 ، ،دار الشروق،،ص:67

القرآن لكان لزاماً أن يفهم حقيقة هذا المصطلح القرآني وهو أن يجمع الآيات التي تردد فيها لفظة الوحي أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها، وهناك كتب قديمة تضمنت هذا اللون من التفسير بل هي عمدته أمثال كتب غريب القرآن وكتب الأشباه والنظائر، ولكن فكره الغربي المعادي للإسلام يختلف عن هذه الأفكار.

الخاتمة:

من المفكرين العرب الذين ساهموا في تجديد الفكر وخاصة الإسلامي ، المفكر الجزائر محمد أركون الذي كان متأثراً بالحداثة الفكرية الغربية ، ومن خلال مقالنا نتوصل الى بعض النتائج وهي:

*هدف أركون إلى ربط القرآن الكريم بزمن ظهوره و انبثاقه أول مرة ، حيث تميزت تلك الفترة بممارسات ذهنية خاصة بها فعمل على إبراز تاريخية الوحي ونزع القداسة عنه و إخراجه من صورته المتعالية و الأزلية التي طمس التدّوين الّرسمي لأحداث الوحي التاّريخية

* ميز بين كلام الله الأزلي في اللّوح المحفوظ ، و الوحي المنزل على الأرض و المتجسّد عبر التاّريخ في قالب بشري الذي جاء على ألسنة الأنبياء ، فأصبح بنية لغوية وجب التعامل معه بصفة إنسانية.

* تبرز أهمية التفسير الموضوعي في إصلاح واقع الحياة ومواكبته، فهو متجدد ومعطاء وهو السبيل لبيان مدى حاجة الإنسان إلى هذا الدِّين وحل مشكلاته المستجدة فضلا عن تحقيق هذا النوع من إثراء المعلومات حول قضية معينة.

* يُعد التفسير الموضوعي في أهم أغراضه تفسيراً دعوياً تربوياً اجتماعياً عصرياً،

يهدف إلى بيان الحقائق القرآنية في موضوعات معينة، واستجلاء المنهج القرآني في تناولها وتنزيل ذلك كله على واقع الناس المعاش.

* حدّد الوحي من قبل العلماء و المفسرين بعدة مفاهيم ترمي كلها إلى معنى الإشارة و الإيماء ،وكانت مجالات استعماله مختلفة من خلال ما جاء به القرآن الكريم.

* اقترح أركون مصطلحي الكتاب المقدّس و الكتاب العادي و أحلّهما محّل أهل الكتاب ،حيث لا ،يمكن الفصل بين الكتاب و نطاقه الثقافي و التاريخي و الأنثروبولوجي ، إذ انتقل من الكتاب بالمعنى المقدّس إلى الكتاب بالمعنى العادي ، يمكن تداوله ولمسه و قراءته و وتمّعنه.

* ميز أركون بين الخطاب القرآني الشفهي و النصّ القرآني المكتوب ، ذلك لأنّ العقل في المجتمعات الشفهية تختلف عن العقل في المجتمعات التي تعرف الكتابة فلكلّ من الشفاهية والكتابة بروتوكولها الخاص في عملية التواصل وآلياتها المستخدمة.

**أمَّا ما أوصي به أن يتجند علماء الأمة الذين يمتلكون قدرة الرد والدفاع عن قدسية كتاب الله وسنة رسوله والتصدي لهذا التيار الزاحف والمدعم من طرف أعداء الإسلام والمسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

01-الحداثة والحداثية :المصطلح والمفهوم، نائف العجلوني، مجلة أبحاث جامعة اليرموك،الأردن، مجلد14، العدد,2

02-جدول التنوير، ماكس هوركهايمر،ص23

03-التجديد في التفسير في العصر الحديث ، رسالة دكتوراه تخصص تفسير وعلوم القرآن،الطالبة:دلال بنت كويران،جامعة أم القرى.

04-القراءات الحداثية للقرآن الكريم، مذكرة شهادة ماستر، الطالبتان:وسام حفظ الله –عائدة خموج، جامعة تبسة،

05-مصطفى كيحل ،الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراة العلوم في الفلسفة،جامعة منتوري قسنطينة2007/2008.

06-رون هالبير، العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار والجهود الفلسفية عند محمد أركون،ترجمة:جمال شحيد، الأهالي للطباعة، سورية دمشق،ط1، 2001.

07- -محمد بريش، من هو أركون، الاستشراق العربي دراسة نقدية لأعمال المفكر الاستشراقي محمد أركون، مجلة الهدى،الشارقة،2010،.

08-صليحة عاشور:"الخطاب القرآني والمناهج الحديثة في تحليله-دراسة نقدية"أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر .

09-حاجي رشيد: "النص الديني والمناهج الغربية في الفكر العربي المعاصر" محمد أركون أنموذجاً، رسالة جامعية[1] 09-خالد السبت، ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر

10-عبد القادر بودومة، الحداثة وفكر الاختلاف، منشورات الاختلاف، بومرداس-الجزائر، ط1، 2003م.

11-عبد الإله بلعزيز: محمد أركون المفكر والباحث، مركز الدراسات الوحدة العربية ،بيروت-لبنان، ط1، 2011م.

12-محمد بوراس:محمد أركون ومشروعه النقدي، مجلة البيان، عدد176

13-محمد أركون ، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، ترجمة هاشم صالح دار الساقي بيروت ط1 /99 19

14-محمد أركون :تاريخية الفكر العربي الإسلامي ، ترجمة: هاشم صالح ،مركز الانماء القومي، بيروت-لبنان، ط2،/1996.

15-عماد عبد الرزاق"أركون ومشروعه النقدي" مجلة مؤمنون بلا حدود، ج2، 2015/05/06م الرباط المغرب.

16 -محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد.

17- محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني .

18-احمد السيد الكومي، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم .

19-عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل الى التفسير الموضوعي.

20-مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي.ط1 ، مطبعة المعارف

21-عبد السلام حمدان اللوح، مجلة الجامعة الإسلامية غزة مج12، ع1.

22-التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق' صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط4، دار النفائس.

23- البداية في التفسير الموضوعي،د.عبد الحي الفرماوي .

24-دراسات في التفسير الموضوعي للقران الكريم ،د.عبد المنعم القصاص.

25-المدخل الى التفسير الموضوعي، عبد الستار عبد لله سعيد،دار التوزيع والنشر الإسلامية

26-النبأ العظيم ،د. عبد الله دراز، منشورات دار القلم، ط2، 1970م .

27- ابن منظور : لسان العرب ، مجلد 15 ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ط 1 ،2000م .28.

28- إبراهيم مصطفى و آخرون : المعجم الوسيط ، ج 1 ، المكتبة الإسلامية.

29- الوحي في القرآن الكريم و موقف المستشرقين منه، مهند صالح عطية الحمداني، مجلة الكلية العربية الأساسية جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية عدد 2010/66م.

30-مهند صالح عطية الحمداني، الوحي في القران الكريم وموقف المستشرقين ، مجلة كلية العربية الأساسية جامعة بغداد كلية العلوم الإسلامية،ع66/,2010

31- التفسير الكبير"؛ الرازي."

32- تأويل مشكل القرآن"؛ عبد الله بن مسلم بن قتيبة؛ شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، دار الثراث، القاهرة، ط(2)، ,1973

33- كبرى اليقينيات الكونية"؛ محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط(1)، 1997..

34- تاج العروس، الزبيدي.

35- الوحي المحمدي"؛ محمد رشيد رضا، دار الكتاب، الجزائر، ط(1)، 1989.

36-محمد أركون ، من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني، تر:صالح هاشم، ط2: دار الطليعة بيروت، .

37-التفسير الموضوعي لسور القرآن مصطفى مسلم، مجلد 7، ط1، جامعة الشارقة.

38-التفسير الموضوعي لسور القران العظيم، عبد الحميد طهماز، م 7 ط1، دار القلم دمشق .

39-التفسير الموضوعي للقران الكريم،محمد الغزالي، ط4 ، ،دار الشروق.

40-الحداثة والحداثية :المصطلح والمفهوم، نائف العجلوني، مجلة أبحاث جامعة اليرموك،الأردن، مجلد14، العدد2.

41-التجديد في التفسير في العصر الحديث ، رسالة دكتوراه تخصص تفسير وعلوم القرآن،الطالبة:دلال بنت كويران، جامعة أم القرى.